الحجاب جمال

فلماذا لا تتحجبين ؟!

أبو الحسن بن محمد الفقيه



١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

الإيداع القانوني رقم : ١٣١٩/ ٢٠٠٢

مكتبة وتسجيلات الهداية

الدار البيضاء ـ الأحباس

ت : ٢٢/٥٤٢٥٨٠ ف : ٢٢/٥٤٢٥٧٩

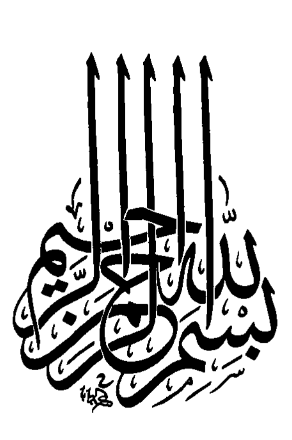
فرع فاس : فاس الجديد ت ف : ٥٥/٦٥٠٣١٨

الحجاب جمال

فلماذا لا تتحجبين ؟!

إعداد
أبو الحسن بن محمد الفقيه

مكتبة وتسجيلات الهداية
الدار البيضاء ـ الأحباس


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد ..

فإن عنصر « الجمال » من العناصر التي تثير وجدان الإنسان ... وتحرك في أعماقه إحساسًا ميالًا إلى كل ما هو جميل في هذه الحياة.

وذاك الثوران والحركة والإحساس الميال هو ما يصطلح على تسميته : إعجابًا أو حبًا أو نحو ذلك من الألفاظ.

وكل دفقة إحساس بمتعة الحياة..هي في الحقيقة انطباع نفسي يعكس صورة من صورها الجميلة .

كما أن كل بسمة إشراق سكينة ..أو لمسة أشواق دفينة ..هي تعبير يحمل في أسراره المنطوية وقار الجمال بكل معانيه.

فالجمال بكل معانيه وأشكاله وأنماطه..زهرة الحياة ومتعتها..وبهجة الدنيا ونعمتها..

ومحروم من تلك النعمة من راح ينشدها في غير مظانها .. ويبتغيها في غير مكانها..ويسير في غير طريقها..

فما معنى الجمال؟ وما الطريق إليه؟

*****

معنى الجمال

نقول : فتاة جميلة..

ونقول: زهرة جميلة..

ونقول: بيت جميل..

ونقول: خلُق جميل..

فالجمال في حقيقة أمره مطلق كلي يصدق إطلاقه على كل شيء في الوجود .. إذا ما اشتمل ذاك الشيء على عناصر الجمال الدفينة في فطرة الإنسان النقية .. فالجمال ذهني الوجود .. تسكن لوحاته على اختلاف أكوانها وأنماطها وأشكالها في أعماق الإنسان .. داخل الجنان .. فإذا وقع أن اتصلت حاسة من حواس الإنسان بجانب من الجمال في الحياة .. فإن ثورة جامحة تحدث في نفس الإنسان لتعلن عن تماس سحري . يحصل وقتئذ بين لوحة من اللوحات الجميلة الدفينة في الأعماق . وبين ذاك الجانب الجميل في الحياة .. وقد يصحب ذاك الإعلان .. ارتياح وانبساط .. وقد يصحبه خفقان ولهفة .. وكل

ذلك في الحقيقة تعبير صامت عن شدة الإعجاب والحب والإجلال!

فهكذا يتذوق الإنسان الأشياء الجميلة في الحياة..

ومن هذا التأصيل النفسي لحقيقة الجمال ندرك أن التمييز بين الجميل والقبيح في الحياة عامة لا يتحقق إلا بشرطين:

الأول: العلم بمعايير الجمال .

الثاني: الصفاء النفسي ونقاء الفطرة.

وكل إخلال بأحد هذين الشرطين يؤدى إلى الإخلال بفهم الجمال على حقيقته ..ليس في الذوات فقط وإنما في الأفكار والمحسوسات أيضًا..

فالاختلاف على لوحة من اللوحات الجميلة ..يعكس في العمق إخفاق أحد المختلفين في فهم طبيعة الجمال ومعاييره .. أو في اكتساب صفاء حسي وطهارة فطرية تؤهله إلى تذوق الجمال...

*****

معايير الجمال وصفاء الفطرة

لقد سبق أن قلنا بأن معايير الجمال وصفاء الفطرة شرطان للتمييز بين ما هو جميل وما هو مشين..في كل جوانب الحياة..

فما هي معايير الجمال؟ وما معنى صفاء الفطرة؟

١ـ معايير الجمال :

الجمال ظاهرة أبدعها الله سبحانه ..وأودعها في خلقه ..مثلها مثل سائر الظواهر الأخرى كالحياة والموت والرحمة والسعادة .. والفرح والسرور..وغيرها من الظواهر التي تترامى في هذا الكون الفسيح وتنسج كينونته في أضخم الأحجام وأدقها!

وكل تلك الظواهر ـ ومنها الجمال ـ محكومة بنسق تنظيمي يحدد أبعادها ..ويحد حدودها..ويرسم أشكالها وأنماطها ومعاييرها..

وإدراك الإنسان أضعف من أن يحيط بحقائق الجمال كلها في الحياة..ذلك لأن عقل الإنسان وإحساسه قاصران عن تحصيل كمال الإدراك...

وما دام الإخفاق واردًا عن إدراك الإنسان...فإن إدراك الجمال مطلقًا لا شك أن سيتخلله النقص والتقصير .

وهذا ما يفسر حاجة الإنسان على من يدله على معايير الجمال وحقائقه .

وليس هو ـ بأي حال ـ قادرًا وحده على التمييز بين ما هو جميل وما هو قبيح في هذه الحياة...

ولتوضيح المقال نقول: لو أن إنسانًا رأى وردة مكللة بالندى ... متفتحة قائمة على سوقها .. يداعبها النسيم .. وتفوح طيبًا وعطرًا .. فلا شك أنه سينشئ صدره لجمالها ورونقها .. وسيسارع لاستنشاق عذب نسيمها...

ولكن هل إذا كان على جنبات تلك الوردة سم مقطر يقتل ريحه من أول شمة ... فهل سيدرك ذاك الإنسان .. شناعة تلك الوردة وبشاعتها!

وبالطبع فهو لن يحيط علمًا بحقيقتها ومجرد النظر .. ولو أدرك

لمزقها ولأراح نفسه وغيره من مغبة شرها ...ولما حكم عليها بالجمال.. لا لأنها في شكلها شنيعة..ولكن لكونها اكتسبت من الصفات الشنيعة ما يدمر جمالها ويجعلها..شرًا مستطيرًا!!!

وهكذا سائر المظاهر في الحياة قد نحكم لبعضها بالجمال في الظاهر . لكننا إذا نظرنا إلى دورها وحقيقتها وتأثيرها وجدناها أحط من أن تكتسب صفة الجمال .

ومن هنا فإن الله وحده سبحانه،هو من يدل الإنسان على الحقائق الجميلة في الحياة ، لأنه خالق الحياة ، وخالق حقائقها والعالم بما خلق . قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦] ، وقال سبحانه: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤] ، وقال سبحانه : ﴿ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ١٤٠] .

فدلت الآية الأولى على أن كل ما في الكون مخلوق، ومن ذلك الجمال .

ودلت الآية الثانية على أن الله وحده العالم بأسرار خلقه ، ومن ذلك معايير الجمال .

ودلت الآية الثالثة على أن الله أعلم من الإنسان ، وأن الإنسان أحوج إلى من يدله على حقائق الأشياء ومعاييرها وأحكامها، ومن ذلك الجمال .

على أن المفاضلة في العلم بين الخالق والمخلوق ليست واردة في العقول السليمة ؛ لأن علم الله كامل لا نقص فيه ، وعلم الإنسان ناقص لا كمال فيه ؛ ولذلك فكلمة: ﴿ أَعْلَمِ ﴾ في الآية ليس من باب أفعل التفضيل.

إذن فمعايير الجمال أساسها الوحي : الكتاب والسنة.

فالإسلام بما يشتمل عليه من تفصيل دقيق للحياة غيبها وشهودها قد بين فيها الصور الجميلة التي تشتمل على معاني الحسن والصفاء والنفع ، سواء في الذوات أو المعانى والمحسوسات . قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨] .

والإسلام حينما تناول الأشياء بالحكم وصنفها بحسب جمالها وقبحها لم ينظر فقط إلى ظاهرها وإنما اخترق نظره كنهها وباطنها

وظروفها وأحوالها ..فكان حكمه على الأشياء يتعدى ظواهرها ، ويتجاوز صورها، ليثبت جمالها أو قبحها ليس من خلال ظاهرها وإنما بترجيح عناصر النفع أو الضر فيها، إذ المقصود من الأشياء نفعها لا ذاتها ...

وإذا تأملنا في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وجدنا فيهما قواعد عريضة واضحة ترسم حدود الجمال وتقرر معاييره وتؤصل حقائقه ، وتحذر من مغبة الغفلة عن تلك الحقائق كلها .

وبتلك القواعد كان جمال الأشياء على أقسام :

* جمال واجب .
* جمال مستحب.
* جمال جائز.

وكل جمال لا ينضوي تحته حكم من هذه الأحكام، لا يعد بأي حال جمالا !!

فالصدق مثلًا واحد من مفردات جمال الأخلاق، وهو واجب في حق كل مسلم ، قال ﷺ..« **إن الصدق يهدى إلى البر وإن البر**

يهدى إلى الجنة ، وإن الفجور يهدى إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا » [١] .

كما أن الإحسان إلى الفقراء ، واحد من مفردات جمال الأخلاق ، وهو مستحب في حق كل مسلم ، وقد يكون واجبًا.

كما أن الاستمتاع بالأشياء والممتلكات التي يبيحها الشرع جائز شرعًا .. وكلها تنطوي على كثير من صور الحسنى والجمال سواء في المأكل أو الملبس أو الطبيعة أو غيرها ، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا ﴾ [الملك : ١٥] ، وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقره : ٢٩] .

وأما ما حرمه الشرع فهو قبيح على كل حال ؛ لأن الله لا يحرم إلا ما فيه الضرر والخطر.قال تعالى : ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ [الأعراف:١٥٧] . ومن المحال أن يجتمع الخبث والجمال!!

---

(١) متفق عليه .

ومن هذا نستخلص أن الجمال لا يكون إلا في الشيء الحلال!وأن القبح لا يرام إلا في الشيء الحرام!!

ولكن ما بال كثير من الناس قد غابت عنهم هذه الحقائق..فأصبحوا يقبحون الجميل ويجملون القبيح؟

٢ـ صفاء الفطرة :

إن كان من الناس من اختلطت عليه الأمور حتى أصبح الجمال بغير معاييره الشرعية العادلة فلأن لوثة ماكرة قد تسللت إلى مربع فطرته ، وعبثت بها أيما عبث ، ونسجت عليها خيوط الغفلة ، وسلسلتها بأغلال الهوى ، وحجبت عنها مداخل التقوى، فأصبح يرى الجمال في القبح ، والطيب في الخبث .

ولقد ورد في القرآن الكريم ما يدل على هذا المعنى في آيات كثيرة جدًا...كلها تدور حول حقيقة (التزيين) الذي يستعمله الشيطان سلاحًا فتاكًا لقلب حقائق الأشياء، كما تركن إليه النفس لتحقيق شهواتها وميولاتها ، كما تعين عليه الدنيا بمغرياتها .

قال تعالى : ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [النمل: ٢٤] ، وقال سبحانه: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ

ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ ﴾ [آل عمران:١٤] . وغيرها من الآيات الكثيرة في القرآن .

وإذا تأملنا في فعل « زين » في الآيتين ، وجدناه ثلاثيًا مضعفًا ، وقد جاء كذلك لغرض التعدية ، ومعنى ذلك أن العمل المزين لم يكن مزينًا في أصله ، وإنما طرأ عليه التزيين والتجميل فصار على غير حقيقته.

وهذا التزيين الذي يستعمله الشيطان لإغواء الإنسان هو الذي جعل الفطر تفقد صفاءها وقدرتها على التمييز ، وهو الذي جعل الناس خبط عشواء في طرق أبواب المحرمات، وتسميتها بالطيبات.هذا هو الجمال...وتلك معاييره!!

أختي المسلمة...

تعالى نتعرف على جمال الحجاب ، وشناعة التبرج، استنارة بتلك المعايير السابقة.

*****

الحجاب جمال كله

في الإنسان لمسات جمالية عدة ، فقد تجتمع فيه عناصر الجمال في سائر الجوانب وقد يكتسب منها شيئًا ويفقد آخر ، فيكون جماله بحسب ما يكتسب من مفرداته ، لكنه إذا تجاوزت جوانب الخبث فيه حدّها المعقول أصبح إنسانًا خبيثًا وإن اكتسب في أي جانب من جوانبه شيئًا من الجمال .

وجمال الإنسان ينقسم إلى قسمين :

جمال نفسي ، وجمال ذاتي.

فأما الجمال النفسي : فيشمل امتلاك السجايا الطيبة والآداب النبيلة، والمعتقدات الصحيحة ، والفكر الوقاد، والحكمة والاتزان. وغيرها من مفردات الأخلاق الفاضلة.

وأما الجمال الذاتي: فيشمل أناقة الذات، وحسن الصورة، والأعمال الحسنة.

أختي المسلمة:

وبتكامل جمال النفس والذات في الإنسان تتكامل لوحة الجمال

فيه، وبحسب تفاوت ذلك ، ينقص أو يزيد جماله . فإذا أخذنا الحجاب بعين التأمل ، وجدناه ينطوي على أسرار الجمال بكل أبعاده .

وإذا تأملنا في التبرج ، وجدناه يحمل في ثناياه من حقار النفس وفساد التصور ما يثلم صور المتبرجات. ويجعلهن أشنع المخلوقات!!

فالحجاب يمتلك من المقومات ما يؤهله لاكتساب جمال حقيقي، يحتضن في دفئه الفضائل كلها ، أجل كلها فهو لباس من ثياب ، كأي لباس من ثياب ، لكنه بوصفه الشرعي ينطوي على أسرار لا تملكها سائر الثياب .

إنه يملك جمال الثوب ..وجمال الوصف..وجمال الطاعة..وجمال الانقياد..وجمال المبدأ..وجمال العقيدة..وجمال العقل..وجمال الأخلاق..وفوق كل ذلك ..هو وقار وفضيلة تمشي على الأرض..وتَجُرُّ خطاها راسمة معالم الطهارة والصلاح في أرجائها .

ويكفي المحجبة المخلصة..أنها تمتلك تلك اللوحات الجمالية الأخاذة .

ويكفيها شرفًا وسمعة وإعظامًا ..أنها استمدت شكل لباسها .. وتفاصيله وألوانه ورائحته .. من الله خالق الوجود : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٩] ، ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ [النور:٣١] . ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١] .

ويكفيها عزًا وفخرًا أنها استمدت شكل مشيتها من الله خالق الوجود : ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١] .

هذا جمال الحجاب..وذاك شرفه..فأين جمال التبرج؟

إنه وصف ينطوي على حقارة التصور وفساد الأخلاق، وهزالة النفس. وخبث الفتنة. كيف لا ؟ومهندسه الشيطان ، ووكلاؤه دور الأزياء اليهودية أو النصرانية في الغرب. وتجّاره أقلام مسعورة

باعت ضمائرها وتراثها ومبادئها ، مقابل كسرة خبز ، وساعة استمتاع .

وها هو ذا الإسلام يصف التبرج في مفردات الحياة الجاهلية الأولى، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب: ٣٣] وحتى مشية المتبرجات، يمليها ضمير كافر ، مال عن الحق، وأمال معه مشية المتبرجات، وها هن في بلاد كثيرة يترنحن في قوة البغل وجفلة الحمار، ونظرات المتسكعين تحملق فيهن بعين السخرية والإعجاب..سخرية بحالهن، وإعجاب بصورتهن.

واسألوا أطباء الأمراض الجنسية عن أسبابها، اسألوهم عن مرض الزهري والسيلان والهربس والإيدز، وغيرها من الأمراض المزمنة المستعصية الفتاكة التي لا يرجى لها علاج، فكلهم يجيبون أن السبب في الانحلال، وفي التبرج الممسوخ.

فأي جمال هذا الذي يقتل المعجبين به، إنه أشبه ما يكون بالوردة المسمومة. هذا إذا كان وردة فعلًا.

أمـا الحجـاب ، فجمالـه يحيـي في النفـوس بريـق الحيـاة ، حيـاة العبوديـة والطاعـة ، ويجنبهـا وسـاوس الفتنـة وخـواطر الفسـاد ، وتظل من تمتلك شرف لباسه كاللؤلؤة المصونة عن أنظار الأجانب .

فجمال ذاتها لا يـري ، ولكنـه مهما كـان فهـو جمـال ، تنطبـع فيـه إشراقـة جمـال الإسـلام !!وتظهـر سـاطعة في كـل ذرة مـن خيوطـه، وتزيده رونقًا ونضرة، فإن لم يرها كل النـاس ، فلأنهـا لا يراهـا إلا طاهر الفطرة صادق الفكرة..

فإذا كان الحجاب هو الجمال..

فلماذا لا تتحجبين؟!!

*****

وقفة مع ذات التبرج

أختي المسلمة..

لا شك أنك تدركين المعني العام للإسلام ، ولا شك أنك تعلمين معنى لا إله إلا الله محمد رسول الله .

وبهذا العلم وذلك الإدراك تتناولين مفردات الحياة العامة، وعلى أساسها تفقهين الممنوع والمشروع في هذه الحياة.

فالإسلام واضح معناه من لفظه، فلا إله إلا الله معناها : لا معبود إلا الله سبحانه، فلا يستحق العبادة أحد غيره، فهي شهادة تقتضى الطاعة المطلقة لله جل وعلا، كم تقتضى توحيده في أسمائه وصفاته وربوبيته لهذا الكون والخلق جميعه، كما تقتضى شهادة محمد رسول الله، تصديق الرسول ﷺ فيما أخبر ، وطاعته واتباعه فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع.

وهذا المعنى العام للإسلام هو الذى تضمنه قول الله سبحانه :

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾

لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦٢، ١٦٣] ، وأغلب القرآن إنما أنزل لتقرير هذه الحقيقة العظيمة، التي تقعِّد وتؤكد حقيقة وجود الإنسان ، ووجود هذا الكون من حوله ، وأساس علاقته مع مفردات ذلك الكون ، وارتباطه بخالق الكون سبحانه!

فإذا تأملت ـ أختي المسلمة ـ في هذا المعنى الصحيح للإسلام .. عَلمت أنك مسؤولة عن نفسك ومواقفك في الحياة..فأنت ملزمة باتباع تعاليم دين الإسلام .. وملزمة باجتناب ما نهى عنه الإسلام .. لأنك آمنت بالله ربًا ، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولًا .. فإيمانك يقتضي الطاعة لله وحده لا لغيره .. يقول تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب : ٣٦] .

وأوامر الله جل وعلا ونواهيه هي شريعته التي شرع لعباده، وهي شاملة لجميع جوانب الحياة الإنسانية على اختلاف الأماكن والأزمان .. واختلاف الأجناس والأعيان .

فالشريعة الإسلامية بشمول أحكامها رسمت معالم الحياة الإسلامية في كل الجوانب الإنسانية، ورسمها هو تلك الأحكام الربانية التي يعرف بها الحلال والحرام، وتدور كلها حول ما هو واجب في حق المسلم ..وما هو حرام..وما هو مستحب..وما هو مباح..وما هو مكروه.

ولو تأملنا في أحكام اللباس مثلًا في الإسلام لوجدناها أحكامًا دقيقة شاملة هادفة في حق الرجال والنساء علي السواء فلقد شرع الله جل وعلا اللباس للرجال وحدَّ له حدودًا ، كما شرع اللباس للنساء وحدَّ له حدودًا.

وجعل اتباع الرجال والنساء لما شرع سبحانه في ذلك مقتضي من مقتضيات الإيمان والتقوى .

فلا يجوز للرجال أن يتخيروا في اللباس ما يشاؤون ، إلا أن يتخيروا في إطار ما أحله الله في اللباس ، فيحرم عليهم كشف العورة ، ومشابهة الكفرة ، ونحوه مما هو معلوم تحريمه في لباس الرجال .

كما لا يجوز للنساء أن يتخيرن في اللباس ما يشأن، إلا أن يتخيرن في إطار ما أحله الله لهن من اللباس .

لأن أحكام اللباس في حق الرجال والنساء هي أحكام ربانية ليس لأحد فيها خيار، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٣٦] . ﴿ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ﴾ [الرعد:٤١] .

أختي المسلمة :

فإذا علمت :

* أن الإسلام يعني الاستسلام لأوامر الله جل وعلا، واتباع نبيه ﷺ .

* وأن الإسلام لله جل وعلا ، واتباع نبيه يعمّ وجوبًا سائر جوانب الحياة .

* وأن اللباس واحد من تلك الجوانب التي ينبغي رد الحكم فيها إلى الله وحده .

فماذا تعلمين عن لباس التبرج في الإسلام ؟وكيف أقدمت عليه؟ وما الذي دعاك إليه؟ ولماذا لا تتحجبين؟!!

*****

أسباب التبرج

لقد نظرت نظرة متفحصة في عوامل التبرج وأسبابه ، فوجدتها لا تخرج عن أربعة أسباب :

الأول: الجهل بأمور الحجاب، وتحريم التبرج.

الثاني: العصيان وضعف الإيمان، مع الاعتقاد التام بوجوب الحجاب وتحريم التبرج.

الثالث: التقليد الذي ينتج عنه الإيمان بجواز التبرج.

الرابع: الاجتهاد الذي يفضى إلى القول بجواز التبرج.

فهذه الأمور هي جملة الأسباب التي تفضي ببنات المسلمين إلي الوقوع في التبرج والسفور، ولو نوقشت كل متبرجة من متبرجات المسلمين في أسباب امتناعها عن الحجاب لما استطاعت أن تخرج عن هذه الأسباب ، ولذا فإننا سنعمد في هذا الفصل على تناول هذه الأسباب بالتحليل والمناقشة والدراسة ، لعل الله يهدي بذلك من

يشـاء قلوبًـا غلفًـا ، وآذانًـا صـمًا ، وأعينًـا عميًـا، والله مـن وراء القصد .

*****

السبب الأول

الجهل بوجوب الحجاب

الجهل بالدين ظاهرة واقعة متفشية في أكثر المسلمين رجالًا ونساءً ، ليس في قضية اللباس فقط ، وإنما في أمور كثيرة يضيق المقام لذكرها ، وهذه حقيقة يدركها سائر المسلمين ، فإنك تجد الفتاة المسلمة تختزن في صدرها صفاء الإسلام ، وبشاشة الإيمان ، وتبتهج إذا سمعت آيات القرآن ، وتعتز اعتزازًا عظيمًا بدين الفضائل والقيم .. (الإسلام) ، لكنك في المقابل إذا رأيت في هيئة شعرها ، وعري بدنها ، وصراح تبرجها ، وزينة سفورها ..تدرك تمامًا أنها بعيدة جدًا عن فهم تعاليم الإسلام ، وأنها في حاجة تامة لمن يكشف عنها حجاب الجهل ، ويسترها بحجاب الحياء.

حقًا يوجد كثير من طيبات النفوس ، اللواتي يحتجن إلى نصح هادئ ، وقول لين ، ليعدن من درك التبرج إلى نور الحجاب ، إنهن لم يتبرجن عنادًا للدين ، وبغضًا في سيد المرسلين ، أو مخالفة للقرآن

الكريم ، وإنما أملت عليهن عوامل التجهيل ، وظروف بعد المسلمين عن الدين أن يقعن في جهل بحقيقة الحجاب ، وحقيقة التبرج .

إنهن أحوج الناس إلى من يحرك في قلوبهن نخوة الإيمان .. ويسوقهن إلى بر الأمان ، ويبعدهن عن خلل الجهل والعصيان، فليس صعبًا أن ترد الجاهل بحقيقة التقوى إلى رحاب التقوى ، إذا كنت تتقن فن مخاطبة الفطرة ، ولكن من الصعب أن ترد العالم ذا الهوى ، لأن الهوى يحجب نصحك عن الفطرة!!!

فما حكم التبرج في الإسلام ؟وما حكم الحجاب ؟

وجوب الحجاب :

ـ دليل وجوب الحجاب من القرآن :

قال تعالى : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ۝ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ

إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٢، ٣٣] .

هذا الخطاب من الله تعالى لنساء النبي ﷺ ، ونساء المؤمنين تبع لهن في ذلك ، وإنما خص الله سبحانه نساء النبي ﷺ بالخطاب ، لشرفهن ومنزلتهن من رسول الله ﷺ ؛ ولأنهن القدوة لنساء المؤمنين ولقرابتهن من النبي ﷺ والله تعالى يقول : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ [التحريم:٦] ، مع أنه لا يتوقع منهن الفاحشة ـ وحاشاهن ـ وهذا شأن كل خطاب في القرآن والسنة . فإنه يراد به العموم ، لعموم التشريع، ولأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، ما لم يرد دليل يدل على الخصوصية ، ولا دليل هنا ،كالشأن في قول الله تعالى لرسوله ﷺ : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [الزمر:٦٥] ؛ ولهذا فأحكام هاتين الآيتين وأمثالها هي عامة لنساء المؤمنين من باب أولى ، مثل تحريم التأفيف في قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾

[الإسراء: ٢٣] ، فالضرب محرم من باب أولى، بل في آيتي الأحزاب لحاق يدل على عموم الحكم لهن ولغيرهن ،وهو قول سبحانه .
﴿ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ [الأحزاب: ٣٣] . وهذه فرائض عامة معلومة من الدين بالضرورة ، إذا علم ذلك ففي هاتين الآيتين الكريمتين عدد من الدلالات على فرض الحجاب وتغطية الوجه على عموم النساء المؤمنين من وجوه ثلاثة :

الوجه الأول : النهى عن الخوض بالقول .

الوجه الثاني : في قوله تعالي: ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ ﴾ وهذه في حجب أبدان النساء في البيوت عن الرجال الأجانب .

الوجه الثالث : قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ لما أمرهن ـ سبحانه ـ بالقرار في البيوت نهاهن ـ تعالى عن تبرج الجاهلية بكثرة الخروج ، وبالخروج متجملات متطيبات سافرات الوجوه ، حاسرات عن المحاسن والزينة التي أمر الله بسترها [حراسة الفضيلة ص ٣٩ - ٤١] .

دليل وجوب الحجاب من السنة :

عن عقبة بن عامر الجهني - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : « **إياكم والدخول علي النساء** » ، فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله ، أفرأيت الحمو ؟ قال : « **الحمو الموت** » [متفق عليه] .

« فهذا الحديث دال على فرض الحجاب ؛ لأن النبي ﷺ حذر من الدخول على النساء ، وشبه قريب الزوج بالموت ، وهذه عبارة بالغة الشدة في التحذير » .

وعن أم عطية - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ لما أمر بإخراج النساء إلى مصلي العيد ، قلن : يا رسول الله ﷺ إحدانا لا يكون لها جلباب ، فقال النبي ﷺ : « **لتلبسها أختها من جلبابها** » [متفق عليه].

ووجه الدلالة من الحديث ظاهرة ،وهو أن المرأة لا يجوز لها الخروج إلا متحجبة بجلبابها الساتر لجميع بدنها، وأن هذا هو عمل نساء المؤمنين في عصر النبي ﷺ [حراسة الفضيلة.. ص٧٣].

دليل وجوب الحجاب من الاجماع :

فقد أجمع العلماء على وجوب الحجاب في حق المرأة المسلمة ، وغاية ما هناك أنهم اختلفوا في وجوب ستر الوجه والكفين ظاهرًا

وباطنًا أو عدم ستر ذلك [١].

أختي المسلمة :

وأدلة وجوب الحجاب في حق المرأة المسلمة كثيرة في الكتاب والسنة ، وما قصدناه هنا هو التعريج علي بعض تلك الأدلة من القرآن والسنة والإجماع لإزالة اللبس الحاصل في أذهان بعض المسلمات ، وإلا فإن إطلاعهن على فتاوى العلماء المعتبرين وكتب التفسير يدلهن علي هذه الحقيقة الجلية التي لم يعرف لها مخالف في تاريخ الإسلام.

ولعل فيما ذكرناه هنا كفاية وغنية لمن أرادت عتق نفسها من نار الجحيم ، وخزي التبرج الذميم!! فما هي حقيقة الحجاب؟.

حكم التبرج :

ولقد ورد في القرآن الكريم نصوص صريحة واضحة الدلالة في النهي عن التبرج منها ، قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾.

---

(١) يراجع كتاب : توجيهات للمؤمنات حول التبرج والسفور للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص(٣٢) ، ورسالته : الحجاب ، وكتاب حراسة الفضيلة ص (٧٨) ، وكتاب عودة الحجاب (٢٣/ ٤٣٢) .

قال ابن جرير الطبري ـ رحمة الله تعالى عليه ـ في تفسير هذه الآية: « قيل: إن التبرج في هذا الموضع: التبختر والتكسر » ثم أسند إلى قتادة قوله: « أي إذا خرجتن من بيوتكن! قال: كانت لهن مشية وتكسر وتغنج ـ يعني بذلك الجاهلية الأولى، فنهاهن الله عن ذلك.

حدثني يعقوب، قال ثنا ابن علية، قال سمعت ابن أبي نجيح يقول: في قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ قال: التبختر. وقيل: إن التبرج هو إظهار الزينة، وإبراز المرأة محاسنها للرجال [تفسير الطبري ٢٢/ ٤].

قال الراغب الأصفهاني: « ثوب مبرج »: صوِّرت عليها بروج، فاعتبر حسنه. فقيل: تبرجت المرأة، أي تشبهت به في إظهار المحاسن، وقيل: ظهرت في برجها أي قصرها [1]، ويدل على ذلك

(١) قصرها: أي بيتها التي تقصر فيه، جاء في مختار الصحاح: قصر الشيء: حبسه وبابه نصر، هي (٥٣٧)، وقال الشيخ بكر أبو زيد: « وبرج المرأة بيتها، وإنما سمي برجًا لسعته، مأخوذ من البرج وهو السعة » حراسة الفضيلة ص ١٠٣.

قوله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ غَيْرَ مُتَبَرِّجَـٰتٍۭ ﴾ والبرج:سعة العين وحسنها تشبيهًا بالبرج في الأمرين »[١].

حقيقة الحجاب :

والله جل وعلا حين فرض الحجاب على نساء المؤمنين لم يترك أمره بأيديهن يلبسنه كيف يشأن ويرغبن ، وإنما جعل له حقيقة جليّة ، وهيأة مرضية ، تتناسب مع قواعد الحشمة والحياء ، وتهدف بضوابطها وحدودها إلى اجتثاث بواعث الفساد ، وأسباب الفسوق والرذيلة .

ولو فقهت الأخت المسلمة ـ حقيقة الحجاب وضوابطه وحدوده وموانعه كما بينها الله جل وعلا في الكتاب والسنة . لما أشكل عليها أمر الحجاب ، ولما التبست عليها ضوابطه، ولما رأينا بين الحين والآخر بدعًا متجددة في لباس المرأة المسلمة .. وصورًا من صور التبرج والسفور .. يسمونها :حجاب العصر .. زعموا !! فكثير من

(١) المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الراغب الأصبهاني ص (٥٤) .

النساء يعتقدن أن الحجاب هو مجرد لبس للعباءة .. على أي شكل كانت .. وأن الأمر واسع لا حجر فيه .

ومنهن من يعتقدن أن الحجاب هو التميز عن المتبرجات بلباس أو عباءة يستر الذات على أي شكل يحصل به التميز دون مراعاة للضوابط والشروط الشرعية ..وكل ذلك يناقض حقيقة الحجاب .

إذ هو :عبادة ربانية شأنها شأن كل عبادة ؛ لا تصح إلا بشرطين :

الأول : الإخلاص لله جل وعلا .

الثاني : الاتباع لرسول الله ﷺ .

فينبغي أن تخلص الأخت المسلمة في لبس حجابها لله جل وعلا ، وأن تجعله على مراد الله ورسوله لا على مراد هواها أو هوى غيرها ، وليس لها من طريق يدلها على الحجاب الشرعي بشروطه وآدابه إلا طريق العلم .

فبم يكون الحجاب؟

وهو بالاستقراء لدلالات النصوص . ويكون بأحد أمرين :

الأول : الحجاب بملازمة البيوت ؛ لأنها تحجب النساء عن أنظار الرجال الأجانب والاختلاط بهم .

الثاني : الحجاب باللباس ، وهو يتكون من « الجلباب والخمار » . ويقال: « العباءة والمسفع » فيكون تعريف الحجاب باللباس هو : « ستر المرأة جميع بدنها » ، ومنه الوجه والكفان والقدمان وستر زينتها المكتسبة بما يمنع الأجانب من رؤية شيء من ذلك ، ويكون هذا الحجاب بالجلباب والخمار:

١ـ الخمار : وهو « ما تغطي به المرأة رأسها ووجهها وعنقها وجيبها » . ويسمى عند العرب: المقنع، والنصيف ، والغدفة ، والمسفع ، ويسمي عند العامة : الشيلة.

وصفة لبسه: أن تضع المرأة الخمار على رأسها ثم تلويه على عنقها على صفة التحنك والإدارة على الوجه ، ثم تلقي بها فضل منه على وجهها ونحرها وصدرها ، وبهذا تتم تغطية ما جرت العادة بكشفه في منزلها .

٢ـ الجلباب: وهو « كساء كثيف تشتمل به المرأة من رأسها إلى

قدميها ، ساترًا لجميع بدنها ، وما عليه من ثياب وزينة ، يسمي : الملاءة ، والملحفة ، والرداء ، والدثار ، والكساء ، وهو المسمى (العباءة) التي تلبسها نساء الجزيرة العربية .

وصفة لبسها: « أن تضعها فوق رأسها ضاربة بها على خمارها وعلى جميع بدنها وزينتها حتى تستر قدميها »[1].

فتلك صفة الحجاب فما هي شروطه؟

وباستقراء النصوص أيضًا يظهر أن شروطه ما يلي :

١ـ ألا يكون زينة في نفسه .

٢ـ ألا يكون مطيبًا ولا مبخرًا.

٣ـ أن يكون فضفاضًا غير ضيق .

٤ـ أن يكون صفيقًا غير شفاف .

٥ـ ألا يكون لباس شهرة .

٦ـ ألا يشبه لباس الرجال .

---

(١) حراسة الفضيلة ص (٣٣ – ٣٦) بتصرف .

٧ـ ألا يشبه لباس الكافرات [1].

ولباس المرأة المسلمة لا يكون حجابًا إذا فقد شرطًا فأكثر من شروط الحجاب ، فكل لباس تلبسه المرأة في غير أهلها وكان كاشفًا لعورتها فهو تبرج ، وكذلك إذا كان زينة في نفسه ، أو شفافًا مُظهِرًا لما يجب ستره من العورة ، أو ضيقًا ، أو معطرًا ، أو يشبه لباس الرجال ، أو يثير الناس لشهرته أو يشبه لباس الكافرات ، فهو بواحد من هذه الأوصاف أو أكثر ليس من الحجاب المأمور به شرعًا بل هو تبرج وسفور .

ومن هنا كان وصف التبرج متعلقًا بالإخلال بشروط الحجاب ، وليس بوصف معين ترتديه المرأة المتبرجة ، فصاحبة السروال الضيق ، والعري الصارخ تستوي هي وصاحبة العباءة الفاقعة الضيقة في استحقاق وصف التبرج لاشتراكهما في مطلق الإخلال بشروط الحجاب الشرعي ، وإن كانتا تفترقان من حيث الوصف في درجة العري والتبرج .

(١) انظر : كتاب « لا جديد في الحجاب » للكاتب دار ابن خزيمة .

فتأملي أختي المسلمة في هذا الأمر ،فإن بعض الغافلات انطلي عليهن الأمر حتى ظن أن التبرج هو العري ، وأن لبس العباءة على أي شكل من الأشكال دون التقيد بالوصف الشرعي هو حجاب لا تبرج [١] .

وليس لأحد أن يعترض على الآية بكونها موجهة لأمهات المؤمنين ؛ لأن العبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب .

أما السنة فقد وردت فيها نصوص كثيرة دالة على تحريم التبرج وتشنيعه ، فمن ذلك ما روى عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال رسول الله ﷺ : « **سيكون في آخر أمتي نساء كاسيات عاريات ، على رؤوسهن كأسنمة البخت ، العنوهن فإنهن ملعونات** » [٢] .

قال ابن عبد البر ـ رحمه الله تعالى : « أراد ﷺ النساء اللواتي يلبسن من الثياب الشيء الخفيف الذي يصف ، ولا يستر ، فهن

---

(١) المرجع السابق ص ١٧ .
(٢) رواه الطبري في المعجم الصغير ، وصححه الألباني في حجاب المرأة المسلمة ص (٥٦) .

كاسيات بالاسم، عاريات في الحقيقة [١].

وعن أبي أذينة الصدفي ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: « **خير نسائكم الودود الولود المواتية، المواسية، إذا اتقين الله، وشر نسائكم المتبرجات المتخيلات، وهن المنافقات لا يد خل الجنة منهن إلا مثل الغراب الأعصم** » [٢].

« وقد أجمع المسلمون على تحريم التبرج » [كما حكاه العلامة الأصفهاني في حاشية: منحة الغفار على ضوء النهار ٤/ ٢٠١١ـ ٢٠١٢] [٣].

فهذه الأدلة التي ذكرناها كافية في الدلالة على أن التبرج كبيرة من كبائر الإثم، وفاحشة من فواحش الأعمال، كيف والشريعة طافحة بنصوص كثيرة تدل على شناعة التبرج وقبحه، وسفاهته وجرمه، فما هو إلا هتك وتفسخ ورذيلة من رذائل الجاهلية الأولى.

---

(١) انظر: نيل الأوطار للشوكاني ٢/ ١٣١.

(٢) رواه البيهقي في السنن وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم (١٨٤٩).

(٣) حراسة الفضيلة ص (١٠٧).

فما هو حقيقة التبرج ؟وكيف يكون؟

حقيقة التبرج :

التبرج في الشرع هو : « إظهار الزينة ، وإبراز المرأة محاسنها » ، فهو نقيض الستر والعفاف ، وضد الحجاب ، إذ كل لباس تلبسه المرأة المسلمة في غير أهلها ، وانخرم فيه شرط من شروط الحجاب المتفق عليها فهو تبرج.

ومن هنا كان للتبرج أشكالًا متعددة ، وليس بالضرورة أن تكون الكاشفة عن ساقيها هي المتبرجة وحدها ، وإنما يصدق التبرج علي كل امرأة تخرق في لباسها شرط الحجاب [(١)].

*****

(١) انظر : رسالة « لا جديد في الحجاب » ، ففيها تفصيل نافع عن أشكال التبرج وأنواعه .

السبب الثاني
ضعف الإيمان مع اعتقاد وجوب الحجاب

وضعف الإيمان هو أهم أسباب تبرج كثير من نساء المسلمين ، ذلك لأن الإيمان إذا خالط بشاشة القلب دعاه إلى طاعة الله ومراقبته ، وولّد فيه قوة العمل بأوامره واجتناب نواهيه ، وهل سبب المعاصي والموبقات إلا ضعف الإيمان وقلة اليقين ؟!

فالأخت المسلمة التي تؤمن بالله واليوم الآخر ، وتؤمن بوجوب الحجاب في حقها ، لا يمكن أن تقدم على نزع الحجاب وهتك أسراره ، والتجرؤ علي الله بالتبرج والسفور إلا لغلبة شهوة ناتجة عن قلة الإيمان والتقوى ، إذ لو كانت لا تؤمن بوجوب الحجاب وتحريم التبرج لجاز القول بغلبة الشبهة عليها ولكان إعلامها بوجوب الحجاب ورفع أستار الجهل عنها كافيًا لردِّها إلى جمال الحجاب والحياء.

أما مع علمها بوجوب الحجاب أمام أنظار الرجال الأجانب ،

وإيمانها بذلك ، فإن المخرج الوحيد لردها إلى الله جل وعلا وتحريضها على الحجاب الشرعي هو تذكيرها بمغبة اتباع الشهوات ، وعاقبة اقتفاء الزلات والخطيئات ، والإصرار على شنيع الأعمال والعادات .

أختي المسلمة :

مالك لا تتحجبين؟ ولا تسمعين ولا تطيعين؟

أتراك لا تؤمنين بأن التبرج جمر العذاب ؟!

أم تظنين أنك ناجية بحسن الظن في العقاب!

ألم تسمعي بالوعيد الشديد: « **صنفان من أهل النار لم أرهما ، قوم معهم سياط كأذناب البقر ، يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة،لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا** » [(١)].

هل تري جسدك الناعم يقوي على نار السموم ؟

أم تراه يصبر على الحميم واليحموم ؟

---

(١) حديث مرفوع ، رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

أخية ..أفيقي من سبات الغفلة فإن الأمر جلل ، واعتبري بمن رحل ، وتسربلي لباس التقوى وكوني على وجل ، فإن الموت قد فضح الدنيا فلم يترك لذي لب فرحًا .

قد نادت الدنيا علي نفسها لو كان في العالم من يسمع
كم واثق بالعمر أفنيته وجامع بددت ما يجمع

تذكري سكرات الموت .. ولحظات الفوت ..ووحشة القبر..وهول السؤال..وطول الحساب ..فيا عجبًا منك تذكرين ذلك ولا تخشعين !، وتعلمين هول النشور ولا ترجعين!،وتؤمرين فلا تسمعين ولا تجيبين !..

يا من تمتع بالدنيا وبهجتها ولا تنام عن اللذات عيناه
أفنيت عمرك فيما ليس تدركه تقول لله ماذا حين تلقاه[1]

فما التبرج إلا سهوة مخزية . تعفاها النفوس الأبية .

وما هو إلا هتك للأعراض ، وسلم للعلل والأمراض .

---

(١) أختاه أين أنت غدًا ص(٤) .

وما هو إلا نزوة ماسخة ، تفني لذاتها ، وتبقي تبعاتها!

وما العاقلة بالتي تقدم شهوة ذاك وصفها ، على جنة قد لاح في الآفاق ريحها !

فعودي ـ يا أخية ـ إلي رحاب الطاعة والالتزام ، واهجري طرق الغي والظلام ، واتبعي سبيل من استقام ، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ [آل عمران..١٣٦] .

كم ذا أغالط أمري	كأنني لست أدري
أغفلت ذا الذي كان	في مقدم عمري
ولم أزل أتمادى	حتى تصرم دهري
مالي إذا صرت رهنًا	بالذنب في رمس قبري
فليت شعري متى أدرك	المنى ليت شعرى

عودي إلى صفاء الصدق ، ونقاء الفضيلة ، وطهارة الحجاب ، وشرف العفاف .

عودي إلى الله بنية صافية ، وعين باكية ، وأذن واعية .

عودي إلى حلاوة الإيمان ،ورحاب الاطمئنان ،تذهب عنك الأدران والأحزان .

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل :٩٧] .

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ .[طه: ١٢٤ـ١٢٦] .

عودي إلى حياة السلف ، ففيها العزة والتمكين والشرف .

عودي إلى صناعة الأبطال ، وأنجبي للأمة خير الرجال ، وازرعي بذور النصر للأجيال ..ألا فعودي يا أخية [1] .

---

(١) من رسالة « ألا فعودي يا أخية » دار ابن خزيمة .

السبب الثالث

التقليد

والتقليد الذي يوقع الأخت المسلمة في شراك التبرج نوعان :

الأول : هو التقليد الأعمى الذي يفضى بالمسلمة إلى أن تسلك مسلك التبرج والسفور ، مجاراة لما عليه عامة النساء في هذه الأزمان ، واتباعًا لما يسمى « بالموضة المتجددة » دون خوف من الله سبحانه ، مع علمها بوجوب الحجاب ، وتحريم التقليد الذي تمتطيه.

الثاني : التقليد بمعناه الأصولي ، وذلك باعتماد فتاوى بعض العلماء المضلين دون النظر في حجة أقوالهم ، وهذا يفضي بالأخت المسلمة إلى الاعتقاد بجواز التبرج .

١ـ التقليد الأعمى :

وهذا النوع من التقليد هو بدعة عصرية استشرت في صفوف الرجال والنساء على السواء. فلقد باتت دور الأزياء الغربية في عقر ديار الكفر هي المرجع الأساسي للباس كثير من نساء المسلمين .

حتى أصبح همهن الأكبر هو تحصيل آخر ما استجد في « عالم الموضة والزينة » حتى لو أفضى بهن لبسه إلى كشف العورة والتشبه بالكافرات .

ولما كانت دور الأزياء تلك لا تعير اهتمامًا للمبادئ والقيم ، فإن ما تصدره من لباس وأزياء لا يعرف حدودًا للتبرج والعري .. فكل ما تهدف إليه هو الربح المادي .. وإضفاء حالة من الإثارة على لباس المرأة حتى لو اقتضى ذلك إظهار مفاتنها .. وتعرية ذاتها ثم الترويج في عقر ديار الإسلام لما تنتجه من ألبسة ماسخة .. بشتى وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية .

« إن ثمة توجيهًا خفيًا يستهدف وضع المرأة المسلمة في ظروف مقصودة تسلبها الثقة بنفسها ومقوماتها ، ولا جرم أن الهدف من وراء ذلك خطير رهيب ، إنه تحطيم السدود الروحية التي حفظت لهذه الأمة حتى الآن مشاعر العزة والحرية الدافعة إلى الجهاد والبذل في سبيل الله ، ثم اجتثاث الجذور التي تربطنا في أعماق التاريخ برسالة المجد الإلهي ، التي جعلت أمتنا خير أمة أخرجت للناس »[1] .

---

(١) عودة الحجاب لمحمد أحمد إسماعيل المقدم (٢/ ٣٥) .

ولاشك أن الإيقاع ببنات المسلمين في شباك التقليد الأعمى للغربيات هو ثمرة جهد مضن بذله اليهود من زمن بعيد وسخروا لأجل تحقيقه ما يملكون من وسائل الإعلام وقنوات التغريب الفكري .

فالأفلام الماجنة توزعها في العالم « دور الصهيونية » ، والأزياء الفاحشة تتميز بها دور الأزياء الصهيونية ، والمجلات الخليعة والقصص الفاجرة تصدرها دور طبع يهودية، وكثير من أبطال الفن الذين أسسوا ألوانه المتعددة ونشروها في ديار المسلمين هم من اليهود ، وصدق الله العظيم : ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة:٦٤][1] .

لقد آن الأوان للمرأة المسلمة أن تكون في مستوى المجابهة والتحدي ، وأن تفطن لمكائد الأعداء وأساليبهم في الترويج لأساليب التبرج والفساد ، وأن تستعين بالله ثم بالعلم حتى لا تكون فريسة للذئاب .

---

(١) المرأة المسلمة . لوهبى غاوجسي ص (٢٥٢) .

وإن نظرة متأملة في واقع نساء الغرب لينبئ عن فضائح التبرج وآثاره الخطيرة ، وما آل إليه حال نسائه من الذل والصغار والرذيلة والعار .

ففي أمريكا يوجد أكثر من نصف مليون عملية اغتصاب سنويًا، وفي « لوس أنجلوس » عاصمة الجريمة والاغتصاب يوجد من بين كل ثلاث فتيات واحدة معرضة للاغتصاب . وفى عام واحد أدخل إلى غرف الطوارئ في مستشفيات المدينة (٣٦٤٦) ضحية اغتصاب . أي : عشر حوادث اغتصاب في كل يوم في مدينة واحدة .

وفي أوروبا وبالتحديد في فرنسا : عدد النساء المغتصبات أكثر من مائة ألف امرأة ، والمغتصبون ليسوا دائمًا من الشواذ أو المجرمين بل من أناس عاديين .

وفى ألمانيا : تغتصب امرأة كل ربع ساعة [(١)] .

وإن هذه الحقائق الجلية ، لتدل دلالة واضحة على مهانة المرأة الغربية وانحطاط شخصيتها ، وتدنى قيمتها .. فليست في الغرب

(١) النساء والموضة والأزياء لخالد بن عبد الرحمن الشايع ص (٥٠) .

إلا أداة استمتاع ، ولا تملك من الإنسانية ما يؤهلها إلى عيش كريم هادئ ...

إنها في الغرب أداة إعلان تجاري .. ودمية عرض للجديد من الثياب .. وذات معرضة في كل وقت وحين للاغتصاب والبطش الجنسي ..

فإذ كان حال المرأة الغربية كما ذكرنا ، فما بال الأخت المسلمة تلهث وراء تقليدها في كل صغيرة وكبيرة ، أيعقل أن تكون قدوة المسلمة هي الكافرة !!

وإننا لنأسف إذ نجد الأخت المسلمة « تحفظ أسماء مجلات الأزياء ومسميات الموديلات » أحسن من حفظها لأسماء سور القرآن الكريم ، بل إن بعض الأخوات تحفظ أسماء عشرات الممثلين والممثلات ، ولا يمكنها أن تعدد أسماء قدواتها الحقيقيات ، ألا وهن زوجات رسول الله ﷺ ورضي الله عنهن ، ومن ثم فإن قلبها مثال لتقليد أولئك الممثلات ، أو عارضات الأزياء [1] .

(١) النساء والموضة والأزياء ص (٥٢) .

وهذه (فابيان) عارضة الأزياء المشهورة فتاة في الثامنة والعشرين من عمرها، تركت العطور ودنيا الأزياء، وجاءت إلى الحدود الأفغانية لتعيش ما تبقى من حياتها وسط الأسر المسلحة.

تعترف (فابيان) فتقول: «لولا فضل الله عليّ ورحمته بي لضاعت حياتي في عالم يتحدر فيه الإنسان ليصبح مجرد حيوان، كل همه إشباع رغباته وغرائزه، بلا قيم ولا مبادئ». ثم تضيف: «لم أكن أشعر بجمال الأزياء فوق جسدي المفرغ إلا من الهواء والقسوة، بينما كنت أشعر بمهانة النظرات واحتقارهم لي شخصيًا، واحترامهم لما أرتديه»[1].

أختي المسلمة:

تذكري أن الله جل وعلا قد أعزك بالإسلام.. وجعل شرفك في الهداية والالتزام.. وأخذ عليك عهدا بطاعته وعبادته، ونصرته وموالاته.. ومعاداة أعدائه.. فكيف تتركين نور الإسلام.. وتقلدين ظلم الكفران؟! وكيف تتنصلين من الحجاب.. وتقلدين

(١) جريدة المسلمون العدد (٢٣٨).

أهل العذاب .. وكيف تبيعين مبادئك السامية .. وأعرافك العالية .. لاهثة وراء نجاسة التبرج ونتانة الانحلال .

يا حرة قد أرادوا جعلها أمة غريبة العقل ، لكن اسمها عربي
هل يستوي من رسول الله قائده دومًا وآخر هاديه أبو لهب؟
وأين من كانت الزهراء أسوتها ممن تقفت خطا حمالة الحطب ؟
أختاه لست ببنت لا جذور لها ولست مقطوعة مجهولة النسب
أنت ابنة العرب من الإسلام عشت به في حضن أطهر أم من أعزِّ أب
فلا تبالي بما يلقونه من شبه وعندك العقل إن تدعيه يستجب

٢ـ التقليد بمعناه الأصولي :

فهناك من بنات المسلمين من لا ترى وجوب الحجاب في حقها ، تقليدًا لبعض المتعالمين المتقولين على الله بغير علم ، أو ربما كانوا علماء فعلا ، ولكنهم دعاة ضلالة لا يصدقون الله جل وعلا فيما يفتون الناس به ، وكثيرًا ما نري بعض المسلمات يسوغن تبرجهن بكونهن مقلدات لفلان من العلماء وقد أفتاهن بجواز التبرج والاختلاط ، أو مقلدات لفلان من الباحثين والكتَّاب ، وقد بين لهن

من خلال كتاباته جواز ذلك . وهذا التقليد من الفتيات لأولئك الضلال من العلماء ينبي في حقيقة الأمر عن جهل بالدين وقواعده وأصوله ، فإن للتقليد ضوابطًا وحدودًا بينها العلماء ، فليس التقليد جائزًا في كل الأمور ، كما أنه لا يجوز مع غير مراعاة لشروطه وموانعه !!

فما هو التقليد ؟ وما هي ضوابطه ؟ وهل يجوز تقليد من يفتي بجواز التبرج ؟

فالتقليد في الشرع : هو قبول قول الغير من غير حجة .

وقد أجازه العلماء في الفروع دون الأصول ، فلا يجوز لأحد أن يقلد أحدًا في معرفة الله ووحدانيته وصحة الرسالة ونحو ذلك .

وأما التقليد في الفروع فجائز إجماعًا بل هو في حق العامي واجب لكونه ليس له أهلية للنظر في النصوص وليس له قدرة على الاستنباط .

وشرط التقليد : أن يكون المقلد جاهلًا فيما يقلد فيه غيره ، فليس لأحد أن يقلد في شيء وهو يعلم حكم الله فيه بالضرورة ، أو التواتر أو الإجماع .

ومثال ذلك : فريضة الصلاة ، فلقد دل القرآن الكريم في كثير من الآيات وتواترت نصوص السنة على تقرير فريضة الصلاة ، وأجمع علماء الإسلام على ذلك ، فلم يجز لأحد أن يقلد أحدًا إذا ما أفتاه بعدم فرضيتها كائنًا من كان ، وكذلك سائر أركان الإسلام الخمس وما أجمع عليه المسلمون من الأحكام .

والعلة في عدم جواز التقليد في الأمور المجمع عليها هو اشتراك العلماء والعامة في مطلق العلم بأحكام تلك الأمور ، فلا وجه للتقليد إذن .

ولما كان وجوب الحجاب ، وتحريم التبرج من الأمور التي أجمع العلماء عليها [١] ، لم يجز فيها تقليد أحد كائنًا من كان ؛ لأن حكم الحجاب في حكم المعلوم من الدين بالضرورة .

ومن هذا يتبين أنه لا وجه للتقليد في نزع الحجاب ، لانتفاء ما يستدعيه التقليد وهو الجهل بحكم الحجاب في الشرع .

---

(١) وقد بينا انعقاد الإجماع على تحريم التبرج في هذه الرسالة .

أختي المسلمة:

فهذه قواعد الدين متينة واضحة..تضيء لك المحجة .. وتدلك على الحق بالحجة .. وتقطع للباطل أصوله وجذوره ..فاحذري من اقتفاء طريق الضلال الذين يفتون الناس بغير علم .. فيضلون ويضلون .. واحذري تمني نفسك بالأماني الكاذبة .. لتقتفي أثر علماء السوء تقليدًا .. وأنت تدركين أن الأمر أوضح من أن يخالف فيه أحد ، ما أجمع عليه العلماء من سالف الأزمان .

*****

السبب الرابع
الاجتهاد المفضي إلى القول بجواز التبرج

وليس هناك اجتهاد معتبر يفضى إلى القول بجواز التبرج شرعًا ، وإنما جعلناه سببًا من أسباب التبرج ، وسميناه في هذا الفصل اجتهادًا تنزلًا مع من يدعى لنفسه أهلية الاجتهاد في الدين ، ويسوغ علي أساس ادعاؤه جواز التبرج.

ولقد برز في أواخر هذا القرن أقوام تشبعوا بثقافات الغرب وأفكاره ، وانبهروا بتحدياته وأحواله ، فراحوا يبحثون بشتى الطرق عن منفذ يتسللون من خلاله ، ليسدوا على المرأة حجابها ، مجاراة لتلك الحضارة الهابطة :حضارة الغرب ظنًا منهم أن تبرج المرأة واختلاطها حرية تفضي بالمجتمعات إلى التقدم والازدهار .. هكذا يقولون ..

وأما حقيقتهم فأعمق مما يقولون ..فما هم إلا معاول هدم .. وأدوات إفساد صممت في معامل التغريب الفكرى الغربية لهدم

الإسلام بدءًا من هدم كيان المسلمين، وليس من طريق يحقق لهم هدم ذلك الكيان إلا إفساد المرأة وتخريبها.

تقول الصليبية «أنا ملجان»: «ليس هناك طريقة لهدم الإسلام أقصر مسافة من خروج المرأة المسلمة سافرة متبرجة»[1].

ولقد كان من أبرز تلامذة المدارس الغربية رفاعة الطهطاوي، ولطفي السيد، وقاسم أمين، وسعد زغلول، وأشياخهم الذين مهدوا الطريق وسهلوه لتغريب الأمة وإيقاعها في متاهات الغرب الماسخ أمثال: محمد عبده، وجمال الدين الأفغاني.

ولعل المتتبع لسيرة كل واحد من هؤلاء الرهط، وكذلك أحفادهم من دعاة التبرج والسفور، ليجد بالضرورة حلقات كثيرة تربطهم بطريق مباشر أو غير مباشر «بصالونات الماسونية العالمية» ودوائر الاستعمار، ولا يزال اتباعهم من دعاة حرية المرأة يخدمون تلك الأهداف سالكين الطريق نفسه تحت غطاءات شتى كمراكز البحث العلمي، والدراسات الاستراتيجية وغيرها من الدوائر

---

(١) همسات في أذن فتاة لعبد الغني فتح الله ص (٢٢).

المشبوهة[١].

فهؤلاء المجتهدون ـ زعموا ـ وغيرهم من المجتهدات ـ نصبوا أنفسهم أوصياء على الدين فجعلوا يعصرون النصوص ، ويلوون أعناقها ليستنبطوا منها أهدافهم المبيتة : جواز التبرج وإباحة الاختلاط ، ولأجل ذلك سلكوا مسالك في الاستنباط غريبة كل الغرابة عن أصول الدين وقواعده.

فتارة يستشهدون بآيات عامة ، وتارة يستشهدون بضعيف الأحاديث والآثار بل بموضوعاتها ، وتارة بالعقل والتجربة ، وتارة بالكذب والافتراء على تاريخ الأمة .

وهم في كل تلك الأحوال بعيدون كل البعد عن مفهوم الاجتهاد ، وأحوالهم تلك هي أعظم شاهد على بعدهم عن الدين وأصوله ،كما أنها برهان ساطع على قصورهم الفاحش عن درجة

---

(١) انظر : الجزء الأول من كتاب عودة الحجاب ، فلقد كشف من أسرار هؤلاء الشيء الكثير . ولا يسع من اطلع على حقيقتهم كما بينها الكاتب إلا أن يعدهم من رؤوس الفتنة في تاريخ الأمة الإسلامية .

الفتوى والاجتهاد .

ولو كانوا مجتهدين حقًا لسلكوا سبيل العلماء العارفين متبعين قواعد الاجتهاد الفتوى .

أختي المسلمة :

وعلى تقدير التسليم بأن أولئك الرهط الذين يتقولون على الله بغير علم قد بلغوا رتبة الاجتهاد ، ولهم أهلية النظر والاستنباط والترجيح ، فهل مسألة الحجاب من المسائل التي يصح فيها الاجتهاد ويحل فيها النظر حتى يفضي بصاحبه إلى القول بجواز التبرج .

وإذا كانوا قد اجتهدوا ، فأين هم من علماء الأصول الذين قرروا أن أول ما يجب على المجتهد النظر إليه في كل مسألة : الإجماع فإن وجده منعقدًا على المسألة لم يحتج إلى النظر فيما سواه ؛ لأن الأدلة الشرعية متفاوتة في مراتب القوة فيحتاج المجتهد إلى معرفة ما يقدم منها وما يؤخر لئلا يأخذ بالأضعف منها مع وجود الأقوى فيكون كالمتيمم مع وجود الماء ، ومن هذا فإن المجتهد في مسألة التبرج

والحجاب ينظر أول شيء إلى الإجماع هل انعقد علي تحريم التبرج أم لا . فإن كان منعقدًا ـ وهو كذلك ـ فلا يحل له أن يأتي في المسألة بجديد ، إذ ولو استدل على جواز التبرج بنصوص من القرآن أو السنة كما قد يزعم ، فهي إما منسوخة أو متأولة لكون الإجماع دليلًا قاطعًا لا يقبل نسخًا ولا تأويلًا ، هذا إذا كان في القرآن والسنة ما يظنه دليلًا على زعمه كيف وهما طافحان بالنصوص الدالة على وجوب الحجاب وتحريم التبرج ؟!

وصل اللهم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

*****

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

*****